خطبة الجمعة: 02/12/2011م الشيخ الطبيب محمد خير الشَّعَّال

سلسلة قرأت في كتاب

(التعاون)

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعة الله، فنحن اليوم في دار ابتلاء فالسعيد من وعظ بغيره، والسعيد من ملأ حياته طاعة، وغير السعيد من ذهب اتجاه المعصية،أو انشغل عن الطاعات بالأهواء والملذات، إنه من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره

ثم أستفتح بالذي هو خير: قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة:2].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **((مَن نَفَّسَ عن مؤمنٍ كُرْبةً من كُرَب الدنيا، نَفَّسَ اللهُ عنه كُربةً من كُرَب يوم القيامة، ومن يَسَّرَ على مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عليه في الدنيا والآخِرَةِ، وَمَن سَترَ مُسلِماً، سَترَهُ اللهُ في الدُّنيا والآخِرَةِ، واللهُ في عَونِ العبدِ ما كانَ العبدُ في عَونِ أَخيهِ، وَمَن سلكَ طريقاً يَلْتَمِسُ فيه عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لهُ بِهِ طريقاً إلى الجنَّةِ))** [رواه مسلم].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّهُ كَانَ مُعْتَكِفًا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثمَّ جَلَسَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: (يَا فُلَانُ أَرَاكَ كَئِيبًا حَزِينًا)، قَالَ: نَعَمْ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِفُلَانٍ عَلَيَّ حَقٌّ، لَا وَحُرْمَةِ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ مَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (أَفَلَا أُكَلِّمُهُ فِيكَ)، قَالَ: إِنْ أَحْبَبْتَ، قَالَ: فَانْتَعلَ ابْنُ عَبَّاسٍ ثمَّ خَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَنَسِيتُ مَا كُنْتَ فِيهِ قَالَ: (لَا وَلَكِنِّي سَمِعْتُ صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْعَهْدُ بِهِ قَرِيبٌ) فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، وَهُوَ يَقُولُ: **((مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ وَبَلَغَ فِيهَا، كَانَ خَيْرًا مِن اعْتِكَافِ عَشْرِ سِنِينَ، وَمَنِ اعْتَكَفَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى، جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ ثَلَاثَ خَنَادِقَ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ))** [رواه البيهقي في شعب الإيمان].

هذه هي الخطبة الرابعة عشرة في سلسلة قرأت في كتاب، أختار لكم فيها فوائد منثورة، في كتب قرأتها أو بعضها، ليفيد المرء علماً وعملاً، عنوان خطبة اليوم:

(التَّعاون)

قرأت في كتاب للإمام البيهقي عنوانه (الآداب) باباً عن التَّعاون على البر والتقوى، فأحببت أن أطلعكم على بعض ما جاء فيه، وذلك لأن العلماء قالوا:

(لكل وقت عبادة هي الأفضل، فأفضل عبادة في رمضان الصوم، وإذا نودي للصلاة من يوم الجمعة السعي إلى ذكر الله، ولابن لا تجد أمَّه بعد الله غيره معيناً ولا معيلاً بر الوالدين).

وأفضل عبادة -أراها- في الأزمات التَّعاون، والتكاتف، والتناصر، والتراحم، والتعاضد، والتضافر، والتساند، والتآزر، والترافد، وكلها بمعنى التَّعاون.

الإمام البَيْهَقِيُّ أَحْمَدُ بنُ الحُسَيْنِ: هو الفَقِيْهُ، الحَافِظُ الأُصُوْلِي، الدَّيِّنُ الوَرِع، وَاحِدُ زَمَانِهِ فِي الحِفْظِ، وَفَرِدُ أَقرَانه فِي الإِتْقَان وَالضَّبط، بُورِكَ له فِي عِلمه، وَصَنَّفَ التَّصَانِيْفَ النَّافعَةَ عَظِيْمَةَ القدر، غزِيرَةَ الفَوَائِد.

منها كتاب (السنن الكبير) المعروف بسنن البيهقي، وكتاب (شعب الإيمان) وكتاب (الآداب)، توفي سَنَة ثَمَّانٍ وَخَمْسِيْنَ وَأَرْبَعِ مائَة.

وها أنا أقرأ عليكم ثمَّانية أحاديث في التَّعاون مما جاء في كتابه الآداب في باب التَّعاون على البر والتقوى:

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:2].

1- وبإسناده إلى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: **((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ))**.

2- **وقال رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ مِثْلُ رَجُلٍ، أَوْ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِذَا اشْتَكَى عَيْنَاهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِذَا اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ))**.

3- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: **((الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، حَيْثُ لَقِيَهُ يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ))**.

4- **وقال رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لا يُكْلِمُهُ وَلا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))**.

5- وقَالَ أَبُو ذَرٍّ رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((عَلَى كُلِّ نَفْسٍ كُلَّ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ صَدَقَةٌ مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ))**، قَالَ: قُلْتُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ أَيْنَ نَتَصَدَّقُ وَلَيْسَ لَنَا أَمْوَالٌ؟" قَالَ: **((إِنَّ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ التَّكْبِيرُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَتَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْزِلُ الشَّوْكَةَ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ وَالْعَظْمَ وَالْحَجَرَ، وَتَهْدِي الأَعْمَى، وَتُسْمِعُ الأَصَمَّ وَالأَبْكَمَ حَتَّى يَفْقَهَ، وَتُدِلُّ الْمُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَةٍ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ مَكَانَهَا، وَتَرْفَعُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ، وَتَسْعَى بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ إِلَى اللَّهْفَانِ الْمُسْتَغِيثِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ))**.

وَفِي بَعْضِ شَـــوَاهِدِهِ عَنْ أَبِي ذَرّ رضي الله عنهِ، قَـــالَ: ((فَلْيُعِنْ مَغْلُوبًا))، وَفِي رِوَايَةٍ: ((مَظْلُومًا))، قَالَ: "وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا لا قُوَّةَ لَهُ"، قَالَ: ((فَلْيَصْنَعْ لأَخْرَقَ))

6- وعَنْ حُذَيْفَـــةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صـــلى الله عليه وسلم، قَالَ: ((كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ))

7- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِـكٍ رضي الله عنه، قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا))، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَـــذَا يَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ يَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَـــالَ: ((تَمْنَعُـــهُ مِنَ الظُّلْمِ)).

8- وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((مَا مِنِ امْرِئٍ يَخْذُلُ مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ يُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، إِلاَّ خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنَ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ، إِلاَّ نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ)).

أيها الإخوة:

قال أحد الأدباء: ((إذا أحس النمل بالخطر، حمل على أكتافه الصغار والمرضى والعجزة، وما يدخره من قوت، وإذا عجزت نملة على المسير حملتها أخرى على ظهرها، وإذا أصيبت نملة بمكروه أسرعت الأخرى إلى مساعدتها، ويتعاون الجميع في إعداد البيت، وحفظ الطعام في جَلَد وصبر ومثابرة".

فالتَّعاون رحمة من الله، وهو مخازن الأخلاق، يجعل الصعب سهلاً والعسير يسراً، ويلم الشمل، ويوحد الصفوف، ويسد الثغور التي يتسلل من خلالها البغض واليأس، وهو كما يقول الحكماء:

(طبيب ماهر، لأنه يزرع في النفس التفاؤل، وينزع منها التشاؤم).

وقديماً قالوا: "لا يغلب قوم إذا تعاونوا".

لولا التَّعاون بين النَّاس ما شرفت نفسٌ ولا ازدهرت أرضٌ بعمران

عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ

وَاحِـدٍ، ثمَّ اقتَسَـمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِـدٍ بِالسَّـوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ)) [رواه البخـاري ومسلم].

أيها الأخوة:

أقـل درجـات التَّعـاون أن تَرُدَّ الحقـوق إلى أصـحابها، إن كـان بين يـديك حقـوق للنـاس، ثمَّ أن تبـذل في مسـاندة النـاس –من عـرفت منهم ومن لم تعـرف– وسـعك، ترجـو بذلك وجه الله تعالى.

هذا شيء مما قرأت في التَّعاون.

أخرج ابن مردويه عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((يقول الله عز وجل: وارتفاعي فوق عرشي، ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما كرهتُ من معصيتي ثمَّ تحولوا عنها إلى ما أحببتُ من طاعتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي.

وما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجل ببادية كانوا على ما أحببتُ من طاعتي ثمَّ تحولوا عنها إلى ما كرهتُ من معصيتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من غضبي)).

والحمد لله رب العالمين